الدَّارُ الآخِرَةُ

(١٨)

عَلاماتُ السَّاعةِ الكبرى

نزول عيسى -عليهِ السلام-

للشيخ / ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآخِرَة

(علامات الساعة الكبرى – العلامة الثانية نزول عيسى – عليه السلام –)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.....

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب:٧٠،٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالي – وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من المعلوم أن نزول عيسى – عليه السلام – علامة من علامات الساعة الكبرى

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري – رضي الله عنه –قال:

"اطلع النبي – صلى الله عليه وسلم – علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدَّجَّال، والدآبة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى – عليه السلام –، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم".

وقبل الحديث عن نزول عيسى – **عليه السلام** –، وصفة النزول، والأحداث التي ستقع عند نزوله؛ لابد أن يكون لنا وقفة نتكلم فيها عن مولده، وحياته، وعن كيفية رفعه إلى السماء.

قصة حمل مريم بعيسى – عليهما السلام –

كـ-انت مريم – عليها السلام- معروفة بالتقوى والصلاح، وكثرة العب-ادة؛ وهذا ببركة دعوة أمها **حنة بنت فاقوذ**- امرأة عمران- **حيث قالت عندما وضعت مريم – عليها السلام –:**

{ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [آل عمران:٣٦]

فاستجاب الله دعاءها وأنبتها نباتاً حسناً: أي جعل لها شكلا مليحاً، ومنظراً بهيجاً، ويسَّر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده؛ تتعلَّم منهم العلم والخير والدين، **فقال تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}** وهو زوج خالتها، وكان زكريا – **عليه السلام** – قد جعل لها مكاناً شريفاً في المسجد الأقصى، فكانت تعبد الله – **عليه السلام** – ليلها ونهارها، وكان زكريا – **عليه السلام** – كلما دخل عليها؛ وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها: **{أَنَّى لَكِ هَـ-ذَا}**، فتقول: **{هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ}، كما قال تعالى:**

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـ-ذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران:٣٧] (انظر "مختصر تفسير ابن كثير": ١/٣٤٨)

وقد اصطفاها الله على نساء العالمين، **كما قال تعالى في كتابه الكريم: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ{٤٢} يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}**

[آل عمران:٤٢-٤٣]

فكانت من جملة أفضل نساء العالمين كما أخبر النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم –

فقد أخرج الإمام الترمذي عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"حسبك من نساء العالمين بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد". (السلسلة الصحيحة:٢/٤٣٩)

وكان من جملة ما اصطفى الله به مريم – عليها السلام- دون غيرها؛ أن جعل لها ولد وهو عيسى – **عليه السلام** – من غير أب، وهذه آية من آيات الله تعالى؛ تدل على كمال قدرته، **وقال سبحانه:**

{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً{١٦} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً{١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً{١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً{١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً{٢٠} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً} [مريم:١٦-٢١]

فجاء عيسى – **عليه السلام** – بكلمة من الله تعالى فقال له: "**كن**"؛ فكان، وهذا في كل شأن قضاه الله وأراده كوناً، **قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٥} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ{٤٦} قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:٤٥-٤٧]**

ثم قال في آيات بعدها: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ{٥٩} الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} [آل عمران:٥٩-٦٠]

فعيسى – **عليه السلام** – ليس هو كلمة الله؛ إنما جاء عيسى بكلمة الله وهي: "**كُنْ**" وليس هو "**كنَّ**"؛ لأننا لو قلنا إن عيسى هو: كن، أي أنه هو كلمة الله، لكان كلام الله تعالى مخلوقاً، وهذا ليس من عقيدة أهل السنة.

يقول الشنقيطي – صلى الله عليه وسلم – كما في "أضواء البيان" (٢٧٩/١):

فلما كان السبب المتعارف عليه في خلق البشر- ألا وهو الأب- مفقوداً في عيسى – **عليه السلام** –؛ كان اتصاف حدوثه بكلمة (كن) أظهر من غيره، فجعل كأنه الكلمة نفسها، وقيل له: (كلمة الله)؛ لأنها هي السبب في وجوده، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب، فالكلمة لم تكن "عيسى" ولم تصِرْ "عيسى"، لكن بالكلمة خلق عيسى، ولذلك شَبَّه سبحانه خلقه بخلق آدم. اه-

- وما قيل في "**كلمة الله**" يقال كذلك في "**روح الله**"، **ففي قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ } [النساء:١٧١]**

{وَرُوحٌ مِّنْهُ} أي ذو روح ابتدأ خلقها من الله بكلمة "**كن**"، فمن حرف جر لابتداء الغاية، وليست تبعيضيَّة، **وهي كما في قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} [الجاثية:١٣]**

أي من خلقه أو من عنده، **وكما في قوله سبحانه عن آدم: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }[الحجر:٢٩]، [ص:٧٢]**

والمراد: هو إيصال الروح التي خلقها الله بالجسم، وأضاف الروح إليه تشريفاً، **كما قال الله تعالى في شأن مريم: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:٩١]**

وقال جلَّ جلاله: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم:١٢]

ومعنى: **{فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا}** أي أن جبريل – **عليه السلام** – نفخ في جيب درع مريم؛ فنزلت النفخة إلى فرجها؛ فحملت من فورها.

- ولما حملت مريم بعيسى – **عليه السلام** –؛ ضاقت ذرعاً ولم تدرِ ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يُصدِّقونها فيما تخبرهم، فلما ظهرت عليها مظاهر الحمل توارت عن الناس واعتزلتهم؛

كما قال تعالى: {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً{٢٢} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً{٢٣} فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً{٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً{٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً{٢٦} فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً{٢٧} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً{٢٨} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً{٢٩} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً{٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً{٣١} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً{٣٢} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً{٣٣} ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ{٣٤} مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}

[مريم:٢٢-٣٥]

فانظر رحمك الله... إلى أول كلمة قالها عيسى – **عليه السلام** –، **حيث قال: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ}، ولم يقل: "إنني أنا الله"، أو قال: "إني ابن الله"** كما تزعم النصارى؛ حيث يعتقد النصارى إنه ليس عبداً لله

ولا نبياً، بل إله معبود، مكون من ناسوت – أي جسد–، ولاهوت – أي روح –؛ وقد اتَّحد اللاهوت بالناسوت أو حلَّ فيه؛ فصار إلهاً، وهو يفعل أفعال الآدميين بموجب الناسوت، من غير أن يتأثر اللاهوت بشيء من ذلك.

وإن العقل ليدعو إلى التساؤل: إذا كان القتل والصلب قد وقع على المسيح، فهو بزعمهم واقع أيضاً على الله؛ لأن الطبيعة واحدة ليس فيها ناسوت متميز عن لاهوت، والشيء الواحد لا يقال فيه: مات ولم يمت، وأُهين ولم يُهن، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يتمكن المخلوق من خالقه فيقتله ويُلحق به الإهانة؟!

والعقل يتساءل أيضاً: كيف يمكث الإله في الرحم مدة الحمل، ثم يخرج من مكان ضيق قذر مع الدماء والمشيمة؟!

وقد ردَّ الله تعالى على هذا الافتراء فقال: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة:٧٥]

وطالما أنهما يأكلان الطعام؛ إذاً لابد من دخول الخلاء؛ فهل يتصور أن يكون الإله في هذه الحالة؟!

ولقد ردَّ الله تعالى على هؤلاء الذين يزعمون أن المسيح هو الله، **فقال تعالى:**

{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة:١٧]

بل كان المسيح عيسى – عليه السلام – يدعو لعبادة الله وحده، فقال تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:٧٢]

وهذه هي حقيقة المسيح عند المسلمين، فنحن نعتقد أن عيسى ابن مريم – **عليه السلام** – عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، **قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:٥٩]**

وعيسى – عليه السلام – رسول من أولي العزم؛ حباه الله بكثير من المعجزات؛

ذكرت في قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٥} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ{٤٦} قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ{٤٧} وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ{٤٨} وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{٤٩} وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ{٥٠} إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} [آل عمران:٤٥-٥١]

ومع أن الآيات السابقة تبين أنه أُرسل إلى بني إسرائيل، وقد رأوا بعين رأسهم الآيات المعجزات التي جاء بها عيسى – **عليه السلام** –، ومع ذلك رموه بأنه ابن زنا، وأن أمه مريم حملت به عن طريق الخطيئة من يوسف النجَّار، وكذَّبوه وحرَّفوا أقواله، واتَّهموه بالكفر والمروق من الدين، ووشوا به إلى أحد ملوك الرومان الكفرة في ذلك الزمان؛ فأمر بقتله وصلبه، فحاصروه في دار ببيت المقدس، فلما دخلوا عليه، ألقى الله شبهه على شاب كان في مترله، ورُفع عيسى – **عليه السلام** – إلى السماء،

كما قال تعالى: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ{٥٤} إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [آل عمران:٥٤-٥٥]، وقوله – عليه السلام –: **{يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}** التوفِّي هنا بمعنى: **النوم**، وليس المقصود هو الموت، **كما قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} [الزمر: ٤٢]**؛ **ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ...} [الأنعام:٦٠]**

ففي الآيات السابقة ظهر لنا أن عيسى – **عليه السلام** – لم يُقْتَل و لم يُصْلَب، بل رفعه الله إليه؛ وأنه سينزل في آخر الزمان؛ بل جاء ذلك صراحة في سورة النساء؛ **حيث قال تعالى عن اليهود:**

{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً{١٥٦}وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُـــوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَـــاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{١٥٧}

بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً{١٥٨} وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [النساء:١٥٦-١٥٩]

وفي قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ... } ، أي بعد نزول عيسى – **عليه السلام** – في آخر الزمان، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به قبل أن يموت عيسى بعد نزوله؛ لأن عيسى لا يقبل إلا الإسلام، وهذه الآية تدل على نزول عيسى – **عليه السلام** – آخر الزمان.

نزول عيسى - عليه السلام -

نزول عيسى – **عليه السلام** – في آخر الزمان ثابتٌ بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

أولاً: الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ{٥٧} وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ{٥٨} إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ{٥٩} وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ{٦٠} وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} [الزخرف:٥٧-٦١]

ففي قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}[الزخرف:٦١]، أي نزول عيسى – **عليه السلام** – قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة، **ويدل على هذا أيضاً أن هناك قراءة أخرى: {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ}** بفتح العين واللام، أي علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس– **رضي الله عنهما** – ومجاهد... وغيرهما من أئمة التفسير. **(انظر تفسير الطبري:٢٥/٩٠، وتفسير القرطبي:١٦/١٠٥)**

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسير الآية: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}[الزخرف:٦١]، قال: "هو خروج عيسى ابن مريم – عليه السلام – قبل يوم القيامة"

وكذا قال قتادة: نزول عيسى علم للساعة.

تنبيه:

ذهب فريق من أهل العلم إلى: أن "الهاء" في قوله: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}**عائدة على عيسى – **عليه السلام** –؛ **فيكون معنى الآية:** أن عيسى علم يعلم به مجئ الساعة؛ لأن ظهروه من أشراطها، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة.

لكن ذهب البعض إلى: أن "الهاء" في قوله: **{وَإِنَّهُ}**عائدة على القرآن، وهذا القول ضعيف، **وأن القول الأول أرجح**، وأن الهاء عائدة على عيسى – **عليه السلام** –.

وقد أورد ابن جرير الطبري أثراً عن مجاهد أنه قال – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}، أي: آية للساعة: خروج عيسى ابن مريم – **عليه السلام** – قبل يوم القيامة. اهـــ

وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك... وغيرهم.

وقال ابن كثير – صلى الله عليه وسلم – في "تفسيره" (١٣٢/٤):

الصحيح أن "**الهاء**" في قوله: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}**عائدة على عيسى – **عليه السلام** –؛ فإن السياق في ذكره، **ثم المراد بذلك:** نزوله قبل يوم القيامة، **كما قال – سبحانه وتعالى –: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...}** أي: قبل موت عيسى، **{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [النساء:١٥٩]؛ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: {وَإِنَّهُ لَعَلمٌ لِّلسَّاعَةِ}** بفتح العين واللام ، أي: أمارة ودليل على وقوعها.

وقال الشنقيطي – صلى الله عليه وسلم – في "تفسيره" (٢٦٣/٧):

التحقيق أن الضمير في قوله تعالى: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}**راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي – **صلى الله عليه وسلم** –، ومعنى قوله: **{لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}على القول الحق الصحي–ح الذي يشهد له القرآن العظي–م والسنة هو:** أن نزول عيسى في آخر الزمان حيًّا علم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها.

٢. وقال تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [النساء:١٥٩]

وقد اختلف أهل التفسير في هذه الآية على وجوه:–

أولها وأقواها: **أن الضمير في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ}** أي: بعيسى – **عليه السلام** –، **والضمير في قوله تعالى: { قَبْلَ مَوْتِهِ}** أي: قبل موت عيسى – **عليه السلام** –

ومن القائلين بهذا القول: ابن عباس، وأبو هريرة، وأبو مالك، والحسن البصري، وقتادة، وابن زيد

– يقول ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ... }

قال: قبل موت عيسى ابن مريم

وعنه أيضاً أنه قال: يعني سيدركه أناس من أهل الكتاب حيث يبعث، فيؤمنون به.

ويقول أبو مالك – صلى الله عليه وسلم – عن الآية:

"ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به".

ويقول الحسن البصري – صلى الله عليه وسلم – في الآية نفسها:

"قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون".

ويقول قتادة – صلى الله عليه وسلم –:

"إذا نزل آمنت به الأديان كلها، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً أنه قد بلَّغ رسالة ربه، وأقرَّ على نفسه بالعبودية".

ويقول ابن زيد – صلى الله عليه وسلم –:

"إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدَّجَّال؛ لم يبقَ يهودي في الأرض إلا آمن به، قال: فذلك حين لا ينفعهم إيمان".

(أخرج هذه الآثار جميعها ابن جرير الطبري – صلى الله عليه وسلم – في "تفسيره"عند هذه الآية)

وهذا القول: أي المراد بالضمير في قوله: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} ، والضمير في قوله تعالى: { قَبْلَ مَوْتِهِ}

المراد به: عيسى في الموضعين، وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير... وغيرهما من أهل العلم.

القول الثاني: وهو قول الزمخشري، وأبي مسعود، والجلال في "الجلالين"، **حيث ذهبوا إلى:**

أن الضمير في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} أي: بعيسى، **أما الضمير في قوله تعالى: { قَبْلَ مَوْتِهِ}** أي: موت الكتابي نفسه؛ وذلك لأن مَن نزل به الموت من أهل الكتاب لا يموت حتى يتجلَّى له ما كان به جاهلاً، فيؤمن عند ذلك بعيسى – **عليه السلام** –، ويؤيد هذا الرأي قراءة أُبيّ – **رضي الله عنه** –: **"قبل موتهم"**

القول الثالث: **أن الضمير في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ}** أي: بمحمد – **صلى الله عليه وسلم** –.

والراجح: هو القول الأول.

يقول ابن جرير الطبري – صلى الله عليه وسلم –:

وأولى الأقوال بالصحة والصواب: **قوله من قال:** تأويل ذلك: **"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"**. اه–

وقد أقر ابن كثير ما رجَّحه ابن جرير الطبري، فقال – صلى الله عليه وسلم –:

"ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأن المقصود من سياق الآية في تقدير بطلان ما ادَّعته اليهود من قتل عيسى – **عليه السلام** – وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وأنه باقٍ حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دَّلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، أي لا يقبل إلا الإسلام".

(اهـــ بتصرف واختصار)

٣. قال تعالى: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً } [المائدة:١١٠]

من المعروف أن عيسى – **عليه السلام** – رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح، والكهولة فوق هذا السن، فعُلِمَ أن عيسى سيكلِّم الناس بعد السن الذي رُفع فيه؛ لأن الكهولة تقال لكل مَن جاوز الثلاثين وخطّه الشيب، **وقيل:** مَن جاوز الأربعين.

ويدل على هذا الفهم ما رواه ابن جرير الطبري عن أبي زيد قال:

كلَّمهم عيسى – **عليه السلام** – في المهد، وسيكلِّمهم إذا قتل الدَّجَّال، وهو يومئذٍ كهل.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية على نزول عيسى – عليه السلام –

١. ما أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري – رضي الله عنه – قال:
"اطلع النبي – صلى الله عليه وسلم – علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدَّجَّال، والدآبة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى – عليه السلام –، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن – في اليمن – تطرد الناس إلى محشرهم".

٢. وأخرج الإمام مسلم عن جابر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:
"لا تزال طائفة من أُمَّتِي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم – عليه السلام –، فيقول أميرُهم: صَلِّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمةً لهذه الأمة"

٣. وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:
"الأنبياء إخوة لِعَلاَّت[1]، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه"

(١) *جاء في بعض الروايات:* "الأنبياء أولاد علات" والعلات: هن الضرائر، وأولاد العلات: هم الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، كما جاء في بعض الروايات"أمهاتهم شتى ودينهم واحد" ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

٤. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "والذي نفسي بيده ليوشكن[١] أن ينزل فيكم[٢] ابن مريم حكماً[٣] عدلاً، فيكسر الصليب[٤] ، ويقتل الخنزير[٥]، ويضع الحرب[٦]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[٧]، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها[٨]، ثم يقول أبو هريرة – رضي الله عنه –: واقرأوا إن شئتم: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} [النساء:١٥٩]"

(١) ليوشكن: *قال الحافظ – رحمه الله – في "الفتح" (٦/٤٩١) ومعناها:* أي ليقربن، أي: لابد له من ذلك سريعاً.

(٢) أن ينزل فيكم: أي في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

(٣) حكماً: أي حاكماً – *وفي بعض الروايات:* "إماماً مقسطاً"، والمقسط: العادل، بخلاف القاسط: فهو الجائر.

(٤) فيكسر الصليب: والغرض من كسره هو إبطال ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

(٥) *ويقتل الخنزير: قال النووي* – رحمه الله –: فيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل، وقتل الخنزير من هذا القبيل.

وقال الحافظ – رحمه الله – *في "الفتح" (٦/٤٩١):* ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير، وتحريم أكله وأنه نجس، لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه. أهـ

(٦) ويضع الحرب: وفي بعض الروايات "ويضع الجزية" أي لا يقبل إلا الإسلام.

(٧) *قال النووي* – رحمه الله – *في "شرح مسلم"(١/٣٧١):* معناه: أن المال يكثر وتنزل البركات، وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم، وتفئ الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال وعلمهم يقرب الساعة، فإن عيسى - عليه السلام - علم من أعلام الساعة. والله أعلم.

(٨) *قال النووي* – رحمه الله –: وأما قوله: "حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها"

فمعناه – والله أعلم–: أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات، لقصر آمالهم، وعلمهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث.

وقال القاضي عياض – رحمه الله –: معناه: أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذ، وهوانه، وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد، قال: و"السجدة" هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم.

وقت نزول عيسى – عليه السلام –

بعدما يفتح المسلمون مدينة القسطنطينية ويستعيدوها من حكم النصارى، ينادي الشيطان أن قد خرج الدَّجَّال، فيرجع المسلمون من قسطنطينية إلى دمشق – وهي فسطاط المسلمين يومئذ – ويخرج مسيح الضلالة حقيقة، ويعيث في الأرض فساداً، ويمكث في الأرض أربعين يوماً: اليوم الأول كسنة، والثاني كشهر، والثالث كجمعة، وباقي الأيام كأيامنا، فإذا شاء الله أن يهلكه – يقضي عليه– فإن الله تعالى يأمر بنزول عيسى – **عليه السلام** – إلى الأرض عند صلاة الفجر، وقد اصطف المسلمون للصلاة، وتقدَّم المهدي ليصلِّي بهم فما أن يرى عيسى – **عليه السلام** –، فيريد أن يرجع ليتقدم عيسى ليصلي بالناس، فيأبى عيسى – **عليه السلام** –، ثم يصلِّي خلف المهدي

وجاء تفصيل هذا في الرواية التي أخرجها ابن ماجه بسند صحيح وفيها:

"وإمامهم (أي إمام الجيش الإسلامي) رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلِّي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح؛ فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقري ليتقدَّم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدَّم فصلِّ فإنها لك أقيمت؛ فيُصلِّي بهم إمامهم".

(صحيح الجامع:٧٨٧٥)

تنبيه:

جاءت بعض الروايات تبيِّن أن الذي صلَّى بالمسلمين هو عيسى – عليه السلام –

كما في رواية مسلم وفيها: "فبينما هم يعدون للقتال، يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة؛ فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهُم"

وفي رواية –: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمَّكُم"

وليس المراد من الحديث: أن عيسى – **عليه السلام** – أمَّهُم في الصلاة، ودليل هذا حديث ابن ماجه السابق،

وكذلك هناك أحاديث تدل على هذا منها:-

ما أخرجه الإمام مسلم عن جابر – رضي الله عنه – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول:

"لا تزال طائفة من أُمَّتِي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة؛ فينزل عيسى ابن مريم – عليه السلام –، فيقول أميرهم: تعال، صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة".

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"كيف أنتم[1] إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟"

فمن خلال ما سبق يتبين أن عيسى – عليه السلام – لم يأمّ المسلمين، وإنما صلَّى خلف المهدي

فيكون المراد بقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:"كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمَّكُم"

أي: أَمَّكُم بكتاب الله وسنتي

ويدل على هذا الرواية التي أخرجها الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم".

وقد قال أحد رواة الحديث وهو ابن أبي ذئب للوليد بن مسلم:

"تدري ما أمَّكم منكم؟ قال: تخبرني. قال: فأمَّكُم بكتاب ربكم – تبارك وتعالى –، وسنة نبيكم – صلى الله عليه وسلم –".

(صحيح مسلم– كتاب الإيمان، "باب نزول عيسى")

(١) كيف أنتم: أي: كيف يكون فرحكم وسروركم بلقاء هذا النبي الكريم، وتكرمة الله لكم؟

مكان نزول عيسى – عليه السلام – وصفة نزوله

يترل عيسى – **عليه السلام** – عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عليه مهرودتان– أي يلبس ثوبين: إزار ورداء مصبوغين بورس ثم زعفران(أي يميل لونهما إلى الصفرة) – واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر منه الماء، وإذا رفعه تحدّر منه مثل حبات اللؤلؤ.

ويدل على هذا ما أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديثه الطويل وفيه: "إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتَيْنِ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ[1] كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجدُ ريحَ نفسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفُهُ، فيطلبه– أي يطلب عيسى الدَّجَّال– حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابنَ مريمَ قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة".

وقال ابن كثير – صلى الله عليه وسلم – كما في "النهاية في الفتن والملاحم" (٩٨/١):

"هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه يترل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، **وتكون الرواية:**

"فيترل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق" فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه يترل وقد أقيمت الصلاة، **فيقول له إمام المسلمين: "يا روح الله تقدَّم: فيقول: تقدَّم أنت، فإنها أقيمت لك..." – وفي رواية: "بعضكم على بعض أمراء، يكرم الله هذه الأمة"**

وقد جُدِّد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية (٧٤١هـ) من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حَرَّقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيَّض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى يترل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخترير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية".

---

(١) الجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدَّر منه الماء على هيئة اللؤلؤ.

الحكمة من نزول عيسى – عليه السلام – دون غيره من الأنبياء

ذكر بعض العلماء الحكمة من نزول عيسى – عليه السلام – في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:–

١– الردُّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى – **عليه السلام** –؛ فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدَّجَّال. ورجح الحافظ ابن حجر– **صلى الله عليه وسلم** – هذا القول على غيره. **(انظر فتح الباري: ٥٦٨/٦)**

٢– إن عيسى – **عليه السلام** – وجد في الإنجيل فضل أمة محمد – **صلى الله عليه وسلم** –؛ **كما في قوله تعالى: {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح:٢٩]**، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستج–اب الله

دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً ما انْمَحى من دين الإسلام، الذي بُعث به محمد – **صلى الله عليه وسلم** –.

قال الإمام مالك– صلى الله عليه وسلم –: "بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا" **(تفسير ابن كثير:٣٤٣/٧)**

قال ابن كثير – صلى الله عليه وسلم –: "وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظَّمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة ".

وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى – عليه السلام – في كتابه "تجريد أسماء الصحابة" (٤٣٢/١) فقال: "عيسى بن مريم – **عليه السلام** – صح–ابيٌّ؛ ونبيٌّ؛ فإنه رأى النبيّ ليلة الإسراء، وسلَّم عليه، فهو آخر الصح–ابة موتاً"

٣– إن نزول عيسى – **عليه السلام** – من السماء؛ لدُنُوِّ أجله، ليُدفَن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدَّجَّال، فيقتله عيسى – **عليه السلام** –، ويفك بذلك حصاره للمسلمين ببيت المقدس، وينهي أعظم فتنة ما بين خلق آدم حتى قيام الساعة.

٤– إنه ينزل مكذِّباً للنصارى، فيُظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويُهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥– إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة؛ **لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في "صحيح البخاري ومسلم":**

"أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبيٌّ".

فرسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر بأن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** – يأتي من بعده، ودعا

الخلق إلى تصديقه والإيمان به؛ **كما في قوله تعالى: {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦]**

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: "قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى".

صفات عيسى – عليه السلام –

وقد وصف النبيُ – **صلى الله عليه وسلم** – عيسى – **عليه السلام** – وصفاً دقيقاً، فكان من جملة ما وصف أنه رجل مربوع القامة، أي ليس بالطويل ولا بالقصير، ولون بشرته أبيض مشرب بحمرة، شعره ناعم مسترسل يجاوز شحمة الأذنين، وكأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فإذا طأطأه قطر منه الماء، وإذا رفعه تحدَّر منه مثل حَبَّات اللؤلؤ، وكأنما خرج من دَيماس (حمَّام)، عريض الصدر، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي – **رضي الله عنه** –، **وهذه أوصاف جاء ذكرها في كثير من الأحاديث منها:–**

– ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "الأنبياء إخوة لِعَلاَّت [١] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلاً مربوعاً[٢] إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمَصَّرَان[٣] ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل..." الحديث

– وعند البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ليلة أُسْرِي بي لقيت موسى – عليه السلام –... ولقيت عيسى، فنعته النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: رَبْعَةٌ، أحمر[٤]

كأنما خرج من دَيماس [٥]".

– وعند البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "رأيت عيسى وموسى وإبراهيم....، فأما عيسى: فأحمر جعدٌ عريضُ الصدر"

– وفي "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يحدث عن الدَّجَّال فقال: "فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ [٦]، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات [٧]، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه..." الحديث.

---

(١) *جاء في بعض الروايات:* "الأنبياء أولاد علات" والعلات: هن الضرائر، وأولاد العلات: هم الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، كما جاء في بعض الروايات"أمهاتهم شتى ودينهم واحد" ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

(٢) مربوعاً: أي ليس بالطويل ولا القصير.

(٣) ثوبان مُمَصَّرَان: والممصر من الثياب: الملون بالصفرة، وليست صفرته بالمشبعة، أي الصفرة خفيفة، وجاء في بعض الروايات كما عند أبي داود وابن ماجه"ينزل بين ممصرتين" أي لابس ثوبين، إزار ورداء، مصبوغين يميلان إلى الصفرة، قال ابن الأبناوي: والممصرة من الثياب التي بها صفرة يسيرة.

(شرح مسلم: ٦٧/١٨)

(٤) الأحمر عند العرب شديد البياض مع الحمرة.

(٥) دَيماس: يعني الحَمَّام

(٦) أي: ينزل في غاية النظافة ينحدر من رأسه كحبات اللؤلؤ.

(٧) *قال القاضي* – رحمه الله –:"أي حق واجب" فلا يقع الكافر عند ذلك إلا الموت.

وفي رواية عند الترمذي: "وريح نفسه منتهى بصرِه"

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم، كأحسن ما ترى من آدم الرجال، تضرب لُمَّتَهُ بين منكبيه، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعاً بيديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً، أعور عين اليمنى، كأشبه مَن رأيت من الناس بابن قطن [1]، واضعاً يديه على منكبي رجلين، يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدَّجَّال".

- **وكان أكثر الناس شبهاً بعيسى – عليه السلام – هو عروة بن مسعود الثقفي**

– فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي؟..." الحديث وفيه: "وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي..." الحديث

وكان عروة بن مسعود الثقفي مشهوراً بحسن الهيئة، وجمال الطليعة.

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"يخرج الدَّجَّال في أمتي..." ثم ذكر في الحديث: "فقال: فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود [الثقفي]، فيطلبه فيهلكه...". الحديث.

تنبيهان:

١- مرَّ بنا أن لون بشرة عيسى – **عليه السلام** – تميل إلى الحمرة والبياض، ولكن جاء في روايات أخرى تبين أن لون بشرته تميل إلى السواد.

– كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم، كأحسن ما ترى من آدم [2] الرجال، تضرب لُمَّتَهُ [3] بين منكبيه [4] ".

ووجه الجمع بين كون لون البشرة أحمر، وجاء في بعض الروايات: بأنه أدم، إذ لا منافاة بين الحُمرة والأُدْمَة؛ لجواز أن تكون أُدمته صافية. **(الإشاعة ص--١٤٣)**

---

(١) ابن قطن: هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي

(٢) أدم: أي فيه سمرة

(٣) لُمَّتَهُ: اللِّمة بكسر اللام " يقال له إذا جاوز شحمة الأذنين: لمة، وإذا زاد عن ذلك فهو: جمة"

(٤) أي أن شعره طويل يضرب إلى كتفيه

ومما يدل على هذا ما أخرجه البخاري ومسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم، كأحسن ما أنت راءٍ من آدم الرجال، سَبِط ينطِف"

٢– جاء في بعض الروايات أنه – عليه السلام –:"سبط الشعر" أي مسترسل الشعر، **وجاء في البعض الأخر أنه: "جعد"**، ومن المعروف أن الجعد ضد السبط، **والجمع بينهما أن نقول:** بأنه سبط الشعر، أما وصفه بأنه جعدٌ، فالمراد بذلك جعودةٌ في جسمه لا شعره، وهو اجتماع اللحم واكتنازه.

(فتح الباري ٦/٤٨٦)

سؤال: عندما يترل عيسى – عليه السلام – هل يحكم بشرع جديد؟

والجواب: لا، لأنه سيحكم بشريعة النبي **– صلى الله عليه وسلم –**، ويكون من أتباع النبي **– صلى الله عليه وسلم**

والأدلة على ذلك كثيرة منها:–

١.أن الله – عليه السلام – وصف النبي في القرآن الكريم فقال: "وخاتم النبيين" **[الأحزاب:٤٠]**

وأيضاً ثبت في "صحيح مسلم" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا نبي بعدي"

وقد رد الإمام النووي – صلى الله عليه وسلم – على المكذبين بترول عيسى، الزاعمين أن نزوله لو كان حقاً، فإنه يكون مناقضاً لقوله **– صلى الله عليه وسلم –: "لا نبي بعدي"**، وأنه يكون بذلك ناسخاً لشرع رسول الله **– صلى الله عليه وسلم –، فقال الإمام النووي – صلى الله عليه وسلم – رداً عليهم:** "هذا استدلال فاسد؛ لأن ليس المراد بترول عيسى **– عليه السلام –** أنه يترل نبياً بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث، ولا في غيرها شيء من هذا،.... بل صح أنه يترل حكماً مقسطاً... يُحَكِّم شرعَنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس. اه–

(شرح النووي على مسلم:١٨/٧٦)

٢.ومما يدل على هذا أيضاً: أن الله **– عليه السلام –** أخذ العهد والميثـاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد **– صلى الله عليه وسلم –** ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، **قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ{٨١} فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران:٨١–٨٢]**

فلو فُرِض أن النبي **– صلى الله عليه وسلم –** بُعث في زمن عيسى **– عليه السلام –**، ما كان يتصور لعيسى إلا أن يتابعه ويقر بشرعه، فهل يتصور عندما يترل عيسى **– عليه السلام –** في آخر الزمان أن يخالف شريعة النبي العدنان **– صلى الله عليه وسلم –....؟**

الجواب: لا.

٣.ومما يدل على أن عيسى – عليه السلام – ينزل تابعاً لرسولنا – صلى الله عليه وسلم –: أنه يصلِّي خلف المهدي ذلك الرجل الصالح من أمة النبي – **صلى الله عليه وسلم –، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو نعيم في كتاب "المهدي" عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:**

"منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه"، وكون المسيح ابن مريم يصلي خلف رجل من أمة النبي فهذا فخر لهذه الأمة وأي فخر، وفيه دلالة على أنه جاء تابعاً لهذا النبي – **صلى الله عليه وسلم** – حاكماً بالقرآن، لا بالإنجيل؛ لأن شريعة القرآن ناسخة للشرائع التي كانت قبلها.

٤. ومما يدل على أن عيسى – عليه السلام – ينزل تابعاً للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكم".

وقد قال أحد رواة الحديث وهو ابن أبي ذئب للوليد بن مسلم: "تدري ما أمَّكم منكم؟ قال: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم – تبارك وتعالى – وسُنَّة نبيكم – صلى الله عليه وسلم –.

٥.عندما ينزل عيسى – عليه السلام – **فإنه يقر شرعنا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير**

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر..." الحديث

قال الحافظ – صلى الله عليه وسلم – في "الفتح" (١٢١/٥):

"وفي الحديث إشارة إلى أن من قتل خنزيراً أو كسر صليباً لا يضمن؛ لأنه فعل مأموراً به، وقد أخبر – عليه الصلاة والسلام – بأن عيسى – **عليه السلام** – سيفعله، وهو إذا نزل كان مقرراً لشرع نبينا – **صلى الله عليه وسلم** –. اهـ

ومما يدل على هذا أيضاً: ما أخرجه أحمد والحاكم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في حديث طويل وفيه: "... فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه المِلل كلها، إلا الإسلام..." الحديث

وأخرج أبو داود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"ليس بيني وبينه – يعني عيسى– نبي، وإنه نازل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدَّجَّال..." الحديث

وربما يقول قائل: إن عيسى – عليه السلام – قد يأتي بشرع جديد بدليل أنه يضع الجزية، وقد كانت مشروعة في الإسلام

والجواب: أن أخذ الجزية مقيد بما قبل عيسى – **عليه السلام** –، وقد أخبر النبي – **صلى الله عليه وسلم** – أن في زمن عيسى سينسخ هذا الأمر، وليس عيسى – **عليه السلام** – هو الناسخ، بل نبينا – **صلى الله عليه وسلم** – هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدلَّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد – **صلى الله عليه وسلم** –.

(انظر فتح الباري: ٦/٤٩٢)

٦. ومما يدل على أن عيسى – عليه السلام – سيحكم بشريعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويكون من أتباعه

أن الإمام الذهبي عَدّ المسيح من صحابة النبي – **صلى الله عليه وسلم** –

فقد ترجم الإمام الذهبي– صلى الله عليه وسلم – لعيسى – عليه السلام – في كتابه "تجريد أسماء الصحابة"(١/٤٣٢) فقال:

"عيسى ابن مريم – عليه السلام – صحابيٌّ؛ ونبيٌّ؛ فإنه رأى النبيّ ليلة الإسراء، وسلَّم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً".اه–

فهذه أدلة تشير بقوة إلى أن عيسى – **عليه السلام** – يأتي تابعاً للنبي – **صلى الله عليه وسلم** –، وأنه لا يترل بشرع جديد، لأن دين الإسلام هو خاتم الأديان، وباق إلى قيام الساعة فلا ينسخ، فيكون شأن عيسى عند نزوله ممَّن يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها.

قال الإمام السفاريني – صلى الله عليه وسلم – كما في "لوامع الأنوار البهية" (١/٩٤):

"أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، ممَّن لا يُعتَدُّ بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه يترل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس يترل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت قائمة به وهو متصف بها. اه–

الأعمال التي يقوم بها عيسى – عليه السلام – وما يقع في عصره

جاء في حديث جامع أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – قال:

"ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الدَّجَّال ذات غداة فخفض فيه ورفع[١]، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدَّجَّال غداةً فخفَّضتَ فيه ورفعتَ، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ قال: غير الدَّجَّال أخوفني عليكم[٢] إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط[٣]، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة لكهف، إنه خارج خلة ما بين[٤] الشأم والعراق؛ فعاث[٥] يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره[٦]، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت،

---

(١) *قوله:* "فخفض فيه ورفع"، قال النووي – رحمه الله –: هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: **أحدهما**: أن خفّض بمعنى: حقّر، وقوله:"رفّع" أي: عظَّمه وفخَّمه، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، *منه قوله* – رحمه الله –:"هو أهون على الله من ذلك"؛ وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، و"أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه".

والوجه الثاني: أنه خفَّض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد"

(٢) *نقل النووي* – رحمه الله – *عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مالك قوله:* "وأما معنى الحديث ففيه أوجه، أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره: "غير الدَّجَّال أخوف مخوفاتي عليكم"، ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: "أخوف ما أخاف على أمتي: الأئمة المضلون" معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون".

(٣) شاب قطط: أي شديد جعودة الشعر.

(٤) خَلَة: *قال الهروي:* بأنه ما بين البلدين، وذكرها البعض: بالحاء المهملة، وتعني: موضع حزن وصخور، والأول أرجح.

(٥) عاث: *قال النووي*– رحمه الله –: العيث: الفساد، أو أشد الفساد، والإسراع فيه.

(٦) *قال عياض:* هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس، عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ***ومعنى:*** "اقدروا له قدره" أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلُّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلُّوا العصر، فإذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، وهكذا إلى أن ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة كلها فرائض مؤداة في وقتها. وأما اليوم الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرنا. والله أعلم.

فتروح عليهم سارحتهم[١] كأطول ما كانت ذُراً[٢] وأسبغه ضروعاً[٣] وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله؛ فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[٤] ثم يدعو رجلاً شاباً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض[٥]، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام –، فينزل عند المنارة البيضاء – شرقي دمشق بين مهرودتين[٦] – واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ[٧]، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، وريح نفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه[٨]، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحي الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدَان[٩] لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم كما قال الله: {وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}[الأنباء:٩٦]، قال: فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ثم يمر بها آخرهم، فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء[١٠]، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور يومئذ لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم،

---

(١) *قوله:* "تروح" معناه: ترجع، والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى.

(٢) وأما الذُرا: فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، و"الأسنمة": جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

(٣) *وقوله:* و"أسبغه" بالسين المهملة والغين المعجمة، أي أطوله، لكثرة اللبن، وكذا: "أمده خواصر" لكثرة امتلائها من الشبع.

(٤) *قوله:* "كيعاسيب النحل": هي ذكور النحل، هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنَّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته. والله أعلم.

(٥) "جزلتين" أي: قطعتين، ومعنى: "رمية الغرض": أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

(٦) وأما "المهرودتان": فروي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران. وقيل: هما شقتان، و"الشقة": نصف الملاءة.

(٧) "الجمان" بضم الجيم وتخفيف الميم، هي حبات من الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدَّر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمى الماء جماناً لشبهه في الصفاء.

(٨) أي: قد عصمهم الله من الدَّجَّال.

(٩) اليدان: تثنية يد، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: "ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان" لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ومعنى: "حرزهم إلى الطور" أي: ضمهم واجعله لهم حرزاً.

(١٠) *في رواية لمسلم بعد قوله:* "ماء": "... ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر – وهو جبل بيت مقدس – فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، فهلم فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فيرد الله عليهم سهامهم مخضوبة دماً". قال النووي في شرح جبل الخمر قال: "والخمر هو الشجر الملتف الذي يستر مَن فيه، وقد فسَّره في الحديث: بأنه جبل بيت المقدس"

قال: فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله [١]، قال: فيرسل الله إليهم النغف[٢] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[٣] موتى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا وقد ملأه زهمهم ونتنهم[٤]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، قال: فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله عليهم مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ[٥]؛ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٦]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها[٧]، ويبارك الله في الرسل، حتى إن اللقحة[٨] من الإبل لتكفي الفئام[٩] من الناس، وإن اللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، وإن اللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٠] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة،فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كما تتهارج الحمر[١١]، فعليهم تقوم الساعة".

ففي هذا الحديث الجامع جملة من الأحداث تكون في زمن عيسى – عليه السلام –، ويبين الحديث أيضاً جملة من بعض الأعمال التي يقوم بها عيسى – عليه السلام – ومنها:–

١. قتله للدَّجَّال وأتباعه من اليهود:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

---

(١) يرغبون إلى الله: أي يدعون الله – عليه السلام –.

(٢) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) فرسى: أي قتلى.

(٤) الزهم والنتن: أي الدسم والرائحة الكريهة.

(٥) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و"لا وبر": وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.

(٦) *قال النووي* – رحمه الله –: "الزُلفة": بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروى: "الزَلَفة" بفتح الزاي واللام وبالفاء، وقال القاضي: روى بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها... وكلها صحيحة، قال في "المشارق": والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: كالمرآة، وحكى *"صاحب المشارق" هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها* بالمرآة في صفائها ونظافتها. *وقيل:* كمصانع الماء، أي: أن الماء يستنقع فيها، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. *وقال أبو عبيد:* معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة"

(٧) القحفة: هي مقعر القشر، شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٨) اللقحة: القريبة العهد بالولادة، واللقوح: ذات اللبن، وجمعها "لقاح"

(٩) الفئام: الجماعة الكثيرة من الناس.

(١٠) الفخذ: هم الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. نقله النووي عن أهل اللغة، ونقل عن عياض أنه قال: قال ابن فارس: "الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ: التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

(١١) يتهارجون تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، والهرْج بإسكان الراء: الجِماع، يقال: هرج زوجته، أي: جامعها، يهرَجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

"لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابِقَ[1] ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا، قالت الروم: خلوا بينا وبين الذين سَبُوا مِنَّا نقاتلْهم، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم؟ فينهزم ثُلُث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتَل ثلثُهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يُفتَنون أبداً، فيفتَتِحون قسطنطينية[2] ، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد عَلَّقوا سُيوفَهُمْ بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنَّ المسيحَ الدَّجَّال قد خَلَفَكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدِّون للقتال، يُسَوُّون صفوفَهم، إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده – يعني المسيح– فيريهم دَمه في حربته".

وق–ف–ة:

والسر في عدم ترك عيسى الدَّجَّال حتى يموت بنفسه: هو إنهاء أسطورة هذا المخلوق وفتنته، فإن الناس إذا شاهدوا قتله وموته؛ استيقنوا أنه ضعيف مغلوب على أمره، وأن دعواه كانت زوراً وكذباً.

– وقد أخرج الإمام أحمد عن جابر – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"يخرج الدَّجَّال في خفقة من الدين وإدبار من العلم... فذكر الحديث وفيه:

"ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السَّحَر، فيقول: أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذَّاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جنيّ، فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم – عليه السلام –، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدَّم يا روح الله! فيقول: ليتقدَّم إمامُكُم، فليُصلِّ بكم، فإذا صلَّى صلاة الصبح؛ خرجوا إليه، قال: فحين يرى الكذَّاب ينماث كما ينماث الملح في الماء[3] ؛ فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي، فلا يَتْرُك ممَّن كان يتبعه أحداً إلا قتله".

– وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"ينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه الدَّجَّال، ذاب كما يذوب الشحمة، فيقتل الدَّجَّال، ويفْرق اليهود، فيقتلون، حتى إن الحجر يقول: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي، فتعال فاقتله".

– وعند البخاري عن سمرة بن جندب في حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه:

"فيصبح فيهم عيسى ابن مريم، فيهزمه الله وجنوده – أي يهزم الله المسيح الدَّجَّال واليهود– حتى أن حزم الحائط وأصل الشجرة لينادي: يا مؤمن هذا كافر يستتر بي، فتعال فاقتله، قال: ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم

(١) الأعماق ودابق: موضعان بالشام بقرب حلب.

(٢) هي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم.

(٣) كما ينماث الملح في الماء: أي كما يذوب الملح في الماء.

شأنها في أنفسكم، تساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً؟ وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على أثر ذلك القبض، وأشار بيده".

– وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن عثمان بن أبي العاصي – رضي الله عنه – في حديث له عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه:

"فإذا قضى صلاته أخذ عيسى – عليه السلام – حربته فيذهب نحو الدَّجَّال، فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله، وينهزم أصحابه، فليس شيء يومئذ يواري منهم أحداً، حتى أن الشجرة لتقول: يا مؤمن، هذا كافر، ويقول الحجر: يا مؤمن، هذا كافر".

٢ . تحكيمُ الإسلام، والقضاء على جميع الأديان المنحرفة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية".

وفي رواية أخرى عن أبي داود: "فيقاتل الناس على الإسلام، فيَدُقُّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزيةَ، ويهلِكُ الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. (صحيح الجامع:٥٣٨٩)

٣. انتشار الأمن والرخاء وظهور العدل والسلام بفضل الله تعالى:

عند نزول عيسى – **عليه السلام** – في آخر الزمان، يعلم الناس أن نزوله علامة على قرب الساعة، فينقلب الناس إلى طاعة الله، وتذهب الشحناء والبغضاء والحسد من قلوب الناس، وهنا يأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها، ويأمر السماء أن تُنزل بركتها؛ فيفيض المال.

ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –:

"والله ليترلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[١]، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدْعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد"

وفي رواية عند البخاري ومسلم:

"ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها[٢]"

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"الأنبياء إخوة لِعَلاَّت [٣] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمَصَّرَان[٤]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدَّجَّال، وتقع الأمنة[٥] على الأرض؛ حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمَّار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيانُ بالحيَّات لا تضرهم؛ فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويُصلِّي عليه المسلمون"

---

(١) القلاص: جمع "قلوص"، وهي الناقة من الفتية الشابة، كالفتاة من النساء، والحدث من الرجال؛ وذكرت لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب، ومعنى الحديث: أنه يذهد الناس فيها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال؛ للعلم لقرب الساعة.

(٢) إنما تكون السجدة أحب إلى أحدهم من الدنيا؛ لكثرة رغبتهم في الخير بسبب اليقين الذي يحلُّ في قلوبهم لرؤيتهم عيسى - عليه السلام - ، وما قبله من الآيات، وإيقانهم بقرب الساعة.

(٣) "إخوة لِعَلاَّت" والعلات: هن الضرائر، وأولاد العلات: هم الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع.

(٤) ثوبان مُمَصَّرَان: أي في ثوبه صفرة خفيفة.

(٥) أي: الأمن.

فقد أخرج ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة[١]، فلا يسعى على شاة ولا بعير[٢]، وتُرفَع الشحناء والتباغض، وتُنْزَع حُمةُ كلِّ ذات حُمة[٣]، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتَفِرُ الوليدةُ الأسد [٤] فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السِّلْم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة الواحدة، فلا يُعْبَد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة[٥]، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر[٦] على القِطف من العنب[٧] فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرُّمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بدريهمات" (صحيح الجامع: ٧٨٧٥)

تنبيه:

وإن كان بعض أهل العلم قد ضعف هذا الحديث، إلا أن الشيخ الألباني – صلى الله عليه وسلم – صححه في صحيح الجامع، بالإضافة إلى أنه له شواهد كثيرة.

- وفي زمن عيسى – عليه السلام – وبعد مقتل الدَّجَّال وأعوانه يوقف القتل وتنتهي الحروب.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه –أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"ينزل ابن مريم إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرجع السَّلم، ويتخذ السيوف مناجل[٨]، وتذهب حُمةُ كلِّ ذات حُمة، وتنزل السماء رزقها، وتُخرج الأرض بركتها؛ حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره، ويراعي الغنمَ الذئبُ فلا يضرها، ويراعي الأسد البقرَ فلا يضرها"

(قال ابن كثير – صلى الله عليه وسلم – في "النهاية"(١/٩٥): تفرَّد به أحمد، وإسناده جيد قوي صالح، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": ورجاله رجال الصحيح)

---

(١) ويترك الصدقة: يعني أن المال كثر لدرجة أنه لا يحتاج أحد لأخذ الصدقة؛ لأن الكل أغنياء.

(٢) فلا يسعى على شاة ولا بعير: يعني: يترك الناس رعي الشياه والإبل لغناهم عنها.

(٣)وتُنْزَع حُمةُ كلِّ ذات حُمة: أي: يُنزع السم من كل ذات سمٍّ كالحية والعقرب؛ فتصبح الحيات والعقارب غير سامة.

(٤) وتفِرُ الوليدةُ الأسد: أي تلعب الصغيرة مع الأسد فلا يضرها.

(٥) كفاثور الفضة: أي: وعاء، أو إناء من فضة تخزن فيه المجوهرات.

(٦) النفر: هو العدد من ٣-٩.

(٧) القِطف من العنب: أي عنقود العنب، والمعنى: أن لبركة ذلك الزمان؛ يجتمع الرجال الكثير على عنقود واحد من العنب فيشبعهم جميعاً.

(٨) مناجل: جمع "منجل، والمنجل: آلة مثل السكين يُقطع بها الزرع، والمعنى: أنه مع زوال الكفر، وتوقف الحرب، وشيوع الأمن والرخاء وسلامة الصدر، لا يحتاج الناس السيوف لقتال، فيتخذونها مناجل لقطع الزرع.

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – في الحديث الطويل الذي ذكر فيه الدَّجَّال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وفي ختامه ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – دعاء عيسى ربه عندما يشتد عليه الأمر؛ فيستجيب الله، ويهلك يأجوج ومأجوج، ثم يقول:

"ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا وقد ملأه زهمهم ونتنهم[١]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت[٢]، قال: فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله عليهم مطراً لا يُكَنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ[٣]؛ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٤]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[٥]من الرمانة، ويستظلون بقحفها[٦]، ويبارك الله في الرسل[٧]، حتى إن اللقحة[٨] من الإبل لتكفي الفئام[٩] من الناس، وإن اللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، وإن اللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٠] من الناس"

– فطوبى لعيش بعد نزول المسيح

ففي الحديث الذي أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس"، والضياء في "المنتقى" عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " طوبى لعيش بعد المسيح [١١] ، يؤذن للسماء في القطر، ويُؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبَّك على الصفا [١٢] لنبت؛ وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحيَّة فلا تضره، ولا تشاحَّ، ولا تحاسد، ولا تباغض"

(السلسلة الصحيحة:٤/٥٥٩) (صحيح الجامع:٣٩١٩)

(١) الزهم والنتن: أي الدسم والرائحة الكريهة.
(٢) كأعناق البخت: والبخت: هي الجمال الخراسانية، أعناقها طويلة.
(٣) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و"لا وبر": وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.
(٤) الزُلفة": تكون الأرض في صفائها ونظافتها ونقائها كالمرآة
(٥) العصابة: الجماعة من الناس قل أن يبلغوا الأربعين .
(٦) القحفة: والقَحف للرأس معروف، والمراد: قشر الرمانة، أي: بقعر قشرها، تشبيها بقحف الرأس.
(٧) الرِسل: بكسر الراء وهو اللبن.
(٨) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالولادة، وقيل: الناقة الحلوب، واللقوح: ذات اللبن، وجمعها "لقاح"
(٩) الفئام: الجماعة الكثيرة من الناس، وهي أكبر من العصابة.
(١٠) الفخذ: هم الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.
(١١) أي: طوبى لعيش بعد نزول المسيح – عليه السلام – الأرض، وليس المقصود بعد موته، وبهذا المعنى تتوافق الأحاديث.
(١٢) الصفا: الحجر الأملس الأصم.

٤. إحراز المسلمين بجبل الطور هرباً من يأجوج ومأجوج

ففي الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه: "إذ أوحي الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان[١] لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم كما قال الله: {وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}[الأنباء:٩٦]...." الحديث

٥. دعاء عيسى ومن معه من المؤمنين على يأجوج ومأجوج فيهلكون

ففي نفس الحديث السابق: "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله [٢]، قال: فيرسل الله عليهم – أي على يأجوج ومأجوج – النغف[٣] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[٤]كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا وقد ملأه زهمهم ونتنهم[٥]، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، قال: فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله عليهم مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ[٦]؛ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٧]" الحديث

٦. يحج ويعتمر ويزور مسجد النبي – صلى الله عليه وسلم –

سَيُهِلّ عيسى – **عليه السلام** – بالحج من فج الروحاء – وهو طريق بين مكة والمدينة– وسيكون إحرامه إما متمتعاً بالعمرة إلى الحج، فيفصل بين العمرة والحج بالتحلُّل بينهما، أو يثنيهما: أي يكون قارناً بينهما.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "والذي نفسي بيده، لَيُهِلَّن [٨] ابن مريم بفَجِّ الروحاء [٩] حاجاً أو معتمراً أو ليثنيهما [١٠] ".

وفي رواية أخرى أخرجها الحاكم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

---

(١) اليدان: تثنية يد، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة.
(٢) يرغبون إلى الله، أي: يدعون الله – عليه السلام –.
(٣) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.
(٤) فرسى: أي قتلى، موتى.
(٥) الزهم والنتن: أي الدسم والرائحة الكريهة.
(٦)بيت المدر، وهو الطين الصلب، و"لا وبر": وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.
(٧) أي: كالمرآة في صفائها ونظافتها.
(٨) لَيُهِلّن: أي ليرفعن صوته بالتلبية
(٩) فج الروحاء: قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة، وكان طريق رسول الله – رحمه الله – إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع. (ذكره النووي)، ويبعد هذا المكان عن المدينة نحو من أربعين ميلاً.
(١٠) ليثنيهما: أي: ليقرن بينهما، أي يجمع بين الحج والعمرة.

"ليهبطن عيسى بن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً أو بنيتهما، وليأتينَّ قبري حتى يسلم علي ولأردَّن عليه، قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: أي: بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام"

والمراد: تناقلوا ذلك عني حتى يأتي مَن يدركه فيبلغه.

- **فضل الذين يصحبون عيسى – عليه السلام –**

أخرج الإمام أحمد والنسائي عن ثوبان – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"عصابتان من أمتي أحرزهما الله عن النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم".

(السلسلة الصحيحة: ٤/٥٧٠، صحيح الجامع: ٤٠١٢)

- **وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَمن لقى عيسى – عليه السلام –**

وقد وصَّى النبي – **صلى الله عليه وسلم** – مَن لقى المسيح عيسى – **عليه السلام** – أن يقرأه منه السلام.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال:

"إني لأرجو إن طال بي عُمرٌ أن ألقى عيسى بن مريم – عليه السلام –، فإن عُجِّـل بِـي م–وت فمَن لقيهُ منكم فليُقرئه مني السلام".

فنقول لَمن طال به العمر حتى يلقى المسيح – عليه السلام –: لا تنسَ وصية النبي – **صلى الله عليه وسلم –.**

تنبيهان:

١ – اختلف أهل العلم في رفع هذا الحديث ووقفه، فقد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة موقوفاً، ورواه كذلك الإمام أحمد عن طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعاً، ومعلوم أن محمد بن جعفر أثبت في شعبة من غيره.

٢– هناك حديث آخر أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"يوشك الميسح عيسى بن مريم أن ينزل حكماً قسطاً، وإمامًا عدلاً، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتكون الدعوة واحدة فَأَقْرِئُوه – أو أَقْرِئه السلام من رسول الله – وأحدثه فيصدقني، فلما حضرت أبا هريرة الوفاة قال: أقرئوه مني السلام".

(وهذا حديث ضعيف وفيه كثير بن زيد ضعفه النسائي).

مدة بقاء عيسى – عليه السلام – في الأرض بعد نزوله

وأما مدة بقاء عيسى – **عليه السلام** – في الأرض بعد نزوله

– **فقد جاء في بعض الروايات: "أنه يمكث سبع سنين".**

كما في رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –: " فيبعث الله عيسى ابن مريم..... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته".

– **وجاء في بعض الروايات: "أنه يمكث أربعين سنة"**

كما جاء في رواية الإمام أحمد وأبي داود:

"ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتَوَفَّى، ويُصلِّي عليه المسلمون". (قال ابن حجر: صحيح)

والجمع بينهما كما قال ابن كثير– صلى الله عليه وسلم – في "النهاية في الفتن والملاحم" (١٤٦/١):

"وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل؛ إلا أن تُحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مُكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور. والله أعلم.

وقال البيهقي – صلى الله عليه وسلم –:"يحتمل أن يكون قوله – **صلى الله عليه وسلم** – في حديث ابن عمرو – **رضي الله عنه –:"ثم يلبث الناس سبع سنين"**

أي بعد وفاته، فلا يكون مخالفًا للأول، فترجح عندي هذا التأويل؛ لأن الحديث ليس نصًّا في الإخبار عن مدة لبث عيسى – **عليه السلام** –، وذاك نص فيها ؛ لأن ثم ما يؤيد هذا التأويل، **وكذا قوله: "يلبث الناس بعده"**، فيتجه الضمير فيه لعيسى – **عليه السلام** –؛ لأنه أقرب مذكور؛ ولأنه لم يرد في ذلك سوى الحديث المحتمل، ولا ثاني له، وورد مكث عيسى – **عليه السلام** – أربعين سنة في عدة أحاديث من طريق مختلفة... فهذه الأحاديث المتعددة وغيرها، أولى من ذلك الحديث المحتمل" اه– .

وقال السيوطي – صلى الله عليه وسلم –: "رأيت البيهقي اعتمد: أن مكثه في الأرض أربعون سنة، معتمدًا ما أفاده أحمد في روايته بلفظ: **"ثم يمكث"** أي: بعد قتل الدَّجَّال، وهذا هو المُرجَّح؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها؛ ولأنهم يأخذون بروايات الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل؛ لما فيها من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدم. اه–

قلت: ويؤيد هذا الرأي رواية لأحمد:"ثم يلبث الناس بعده سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة"

ولعل هذا هو أرجح الأقوال، وبه تجتمع الأدلة

– **وذكر بعض العلماء:** أن كلمة (سبع) رمز للكثرة، وليست للحصر، وهو أسلوب معروف عند العرب، فالمراد أنه يمكث سنين طويلة، وهي أربعون سنة، كما بينتها رواية أحمد، وأبي داود عن أبي هريرة – **رضي الله عنه** –.

– ويحتمل أن يكون المراد كثرة السنين في المدة الخالصة من الأكدار في زمن عيسى – عليه السلام –

ويؤيد هذا الرأي ما رواه نعيم بن حماد في "الفتن" برقم (١٦١٥): "ثنا الحكم بن نافع عن جراح عن كعب قال: "يقيم عيسى ابن مريم عشر حجج، يبشر المؤمنين بدرجاتهم في الجنة".

وبرقم (١٦٦١): "ثنا بقية بن الوليد وأبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أبي الزاهية عن كعب قال: "يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج في الرخاء والخصب والدعة عشر سنين، حتى إن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة، ويحملان بينهما العنقود الواحد من العنب، فيمكثون على ذلك عشر..." الحديث.

وأخيراً وفاته ودفنه – عليه السلام –

قيل: إنه يُتوفَّى – **عليه السلام** – بالمدينة المنورة، ويُدْفَن فيها بجانب النبي – **صلى الله عليه وسلم** – وصاحبيه أبي بكر وعمر – **رضي الله عنهما** –.

يقول ابن كثير في "النهاية في الفتن والملاحم" عن عيسى – عليه السلام –:

حتى تكون وفاته بالمدينة ودفنه بها.

ويقول القسطلاني في "المواهب اللدنية":

بقى في البيت موضع قبر، يدفن فيه عيسى، ويكون قبره الرابع.

وقد روى البخاري في "التاريخ الكبير" عن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – أنه قال:

"يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحبيه، فيكون قبره رابعاً"

"وذكره السيوطي – صلى الله عليه وسلم – في "الدر المنثور" (٢/٢٤٥):

وروى ابن جرير في "تفسيره" عن عبد الله بن سلام أيضاً أنه قال:

"مكتوب في التوراة صفة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وعيسى ابن مريم – عليه السلام – يدفن معه".

قال البخاري: هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه،

وقال الترمذي – صلى الله عليه وسلم –: هذا حديث حسن غريب،

وقال الهيثمي في "المجمع" (٨/٣٠٦):

في سنده عثمان بن الضحاك، وثَّقه ابن حبان، وضعَّفه أبو داود.

وقال الحافظ – صلى الله عليه وسلم – في "الفتح" (٧/٦٦): وروي عن عائشة – في حديث لا يثبت –:

"أنها استأذنت النبي – صلى الله عليه وسلم – إن عاشت بعده أن تُدْفَن إلى جانبه، فقال لها: وأنى لك بذلك وليس في ذلك الموضع إلا قبري، وقبر أبي بكر، وعمر، وعيسى ابن مريم"،

وفي "أخبار المدينة" من وجه ضعيف عن سعيد بن المسيب قال: "إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة، وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى ابن مريم". اهـــ

تنبيه:

حكى القرطبي – صلى الله عليه وسلم – في كتابه "التذكرة" (ص– ٧٦٥) قولاً ذكره الحليمي:

"أنه يُدفن في الأرض المقدسة، حيث دُفن الأنبياء الذين أمه من نسلهم".اهـــ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك